وابن زيد يعنى صوتا ، وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تسمع صوتا ، والركز فى أصل اللغة هو الصوت الخفى ، قال الشاعر : فتوحشت ركز الأنيس فراعها * عن ظهر غيب والأنيس سقامها .

آخر تفسير سورة مريم ولله الحمد والمنة . ويتلوه إن شاء الله تفسير سورة طه ولله الحمد .

﴿ تفسير سورة طه وهى مكية ﴾

روى إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة فى كتاب التوحيد عن زياد بن أيوب عن إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا إبراهيم بن مهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة — يعنى عبد الرحمن بن يعقوب — عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة ، وإبراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيهما

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى * ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسين ابن محمد بن شيبة الواسطى حدثنا أبو أحمد — يعنى الزبيرى — أنبأنا إسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : طه يا رجل وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبى مالك وعطية العوفى والحسن وقتادة والضحاك والسدى وابن أبزى أنهم قالوا : طه بمعنى يا رجل ، وفى رواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والثورى أنها كلمة بالنبطية معناها يا رجل . وقال أبو صالح هى معربة وأسند القاضى عياض فى كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد فى تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبى ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى (طه) يعنى طأ الأرض يا محمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قال ولا يخفى ما فى هذا من الاكرام وحسن المعاملة وقوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال جويبر عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فأنزل الله تعالى (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فليس الأمر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيرا كثيرا كما ثبت فى الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وما أحسن الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقانى حدثنا ابن المبارك عن سفيان عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده إنى لم أجعل علمى وحكمتى فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالى » إسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو الليثى ذكره أبو عمرو فى استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب . وقال مجاهد فى قوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) هى كقوله (فاقرءوا ما تيسر منه) وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم فى الصلاة وقال قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة (إلا تذكرة لمن يخشى) ان الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، وقوله (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى) أى هذا القرآن الذى

جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء الذى خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها وخلق السموات العلى فى ارتفاعها ولطافتها، وقد جاء فى الحديث الذى صححه الترمذى وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها والتى تليها مسيرة خمسمائة عام ،وقد أورد ابن أبى حاتم ههنا حديث الأوعال من رواية العباس عم رسول الله ﷺ ورضى الله عنه ، وقوله (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام على ذلك فى سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن المسلك لأسلم فى ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء فى ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف و لا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، وقوله (له مافى السموات ومافى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) أى الجميع ملكه وفى قبضته وتحت تصرفه ومشيئته وإرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه لا إله سواه ولا رب غيره وقوله (وما تحت الثرى) قال محمد بن كعب أى ما تحت الأرض السابعة ، وقال الأوزاعى إن يحيى بن أبى كثير حدثه أن كعبا سئل فقيل له : ما تحت هذه الأرض ؟ فقال الماء ، قيل وما تحت الماء ؟ قال الأرض قيل :وما تحت الأرض؟قال الماء ، قيل : وما تحت الماء ؟قال الأرض ،قيل وما تحت الأرض؟قال الماء قيل : وما تحت الماء ؟ قال الأرض ،قيل: وما تحت الأرض؟قال الماء ، قيل : وما تحت الماء ؟ قال الأرض ، قيل : وما تحت الأرض؟قال الصخرة قيل : وما تحت الصخرة ؟قال: ملك قيل : وما تحت الملك ؟ قال حوت معلق طرفاه بالعرش ، قيل : وما تحت الحوت؟قال الهواء والظلمة وانقطع العلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخى بن وهب حدثنا عمى حدثنا عبد الله بن عياش حدثنا عبد الله بن سلمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الأرضين بين كل أرض والتى تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه» وهذا حديث غريب جدا ورفعه فيه نظر ، وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا أبو موسى الهروى عن العباس بن الفضل قال قلت ابن الفضل الأنصارى ، قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد ابن على عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فأقبلنا راجعين فى حر شديد فنحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين قال وكنت فى أول العسكر إذ عارضنا رجل فسلم ثم قال أيكم محمد ومضى أصحابى ووقفت معه فإذا رسول الله ﷺ قد أقبل فى وسط العسكر على جمل أحمر مقنع بثوبه على رأسه من الشمس فقلت أيها السائل هذا رسول الله قد أتاك فقال أيهم هو ، فقلت صاحب البكر الأحمر فدنا منه فأخذ بخطام راحلته فكف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت محمد ، قال « نعم » قال إنى أريد أن أسألك عن خصال لا يعلمهن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان فقال رسول الله صلى ان عليه وسلم « سل عما شئت » قال يا محمد أينام النبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنام عيناه ولا ينام قلبه » قال صدقت ثم قال يا محمد من أين يشبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأى الماءين غلب على الآخر نزع الولد » فقال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمرأة منه فقال « للرجل العظام والعروق والعصب وللمرأة اللحم والدم والشعر » قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعنى الأرض فقال رسول ﷺ « خلق » فقال فما تحتهم ؟ قال « أرض » قال فما تحت الأرض ؟ قال « الماء » قال فما تحت الماء ؟ قال « ظلمة» قال فما تحت الظلمة قال «الهواء » قال فما تحت الهواء ؟ قال « الثرى » قال فما تحت الثرى ؟ ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء وقال « انقطع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » قال فقال صدقت أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس هل تدرون من هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال «هذا جبريل صلى الله عليه وسلم» هذا حديث غريب جدا وسياق عجيب تفرد به القاسم ابن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس يساوى شيئا وضعفه أبو حاتم الرازى ، وقال ابن عدى لا يعرف

قلت وقد خلط فى هـذا الحديث ودخل عليه شىء فى شىء وحديث فى حديث وقد يحتمل أنه تعمد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم وقوله (وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) أى أنزل هذا القرآن الذى خلق الأرض والسموات العلى الذى يعلم السر وأخفى كما قال تعالى (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما) قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس (يعلم السر وأخفى) قال السر ما أسره ابن آدم فى نفسه (وأخفى) ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فالله يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقى علم واحد وجميع الخلائق فى ذلك عنده كنفس واحدة وهو قوله (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقال الضحاك (يعلم السر وأخفى) قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى مالم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبير أنت تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غداً والله يعلم ماتسر اليوم وماتسر غدا ، وقال مجاهد (وأخفى) يعنى الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبير (وأخفى) أى ماهو عامله مما لم يحدث به نفسه ، وقوله (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) أى الذى أنزل عليك القرآن هو الله الذى لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الأحاديث الواردة فى الأسماء الحسنى فى أواخر سورة الأعراف ولله الحمد والمنة

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾

من ههنا شرع تبارك وتعالى فى ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحى إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره فى رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصداً بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلا بين شعاب وجبال فى برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليورى ناراً كما جرت له العادة به فجعل لايقدح شيئاً ولا يخرج منه شرر ولا شىء فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً أى ظهرت له نار من جانب الجبل الذى هناك عن يمينه فقال لأهله يبشرهم (إنى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس) أى شهاب من نار وفى الآية الأخرى (أو جذوة من النار) وهى الجمر الذى معه لهب (لعلكم تصطلون) دل على وجود البرد وقوله (بقبس) دل على وجود الظلام وقوله (أوأجد على النار هدى) أى من يهدينى الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثورى عن أبى سعد الأعور عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (أو أجد على النار هدى) قال من يهدينى إلى الطريق وكانوا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال إن لم أجد أحداً يهدينى إلى الطريق أتيتكم بنار توقدون بها

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾

يقول تعالى (فلما أتاها) أى النار واقترب منها (نودى يا موسى) وفى الآية الأخرى (نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله) وقال ههنا (إنى أنا ربك) أى الذى يكلمك ويخاطبك (فاخلع نعليك) قال على بن أبى طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كانتا من جلد حمار غير ذكى ، وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيما للبقعة : وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة ، وقيل ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافياً غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله (طوى) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس

هو اسم للوادى وكذا قال غير واحد ، فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الأمر بالوطء بقدمية ، وقيل لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت والأول أصح كقوله (إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى) وقوله (وأنا اخترتك) كقوله (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) أى على جميع الناس من الموجودين فى زمانه ، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدرى لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لأنى لم يتواضع إلى أحد تواضعك ، وقوله (فاستمع لما يوحى) أى استمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك (إننى أنا الله لا إله إلا أنا) هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وقوله (فاعبدنى) أى وحدنى وقم بعبادتى من غير شريك (وأقم الصلاة لذكرى) قيل معناه صل لتذكرنى وقيل معناه وأقم الصلاه عند ذكرك لى ويشهد لهذا الثانى ما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكرى » وفى الصحيحين عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك » وقوله (إن الساعة آتية) أى قائمة لا محالة وكائنة لا بد منها وقوله (أكاد أخفيها) قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسى يقول لأنها لا تخفى من نفس الله أبدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (أكاد أخفيها) يقول لا أطلع عليها أحداً غيرى وقال السدى ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهى فى قراءة ابن مسعود إنى أكاد أخفيها من نفسى يقول كتمتها من الخلائق حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسى لفعلت ، وقال قتادة أكاد أخفيها وهى فى بعض القراءات أخفيها من نفسى ولعمرى لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الأنبياء والمرسلين ، قلت وهذا كقوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) وقال (ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) أى ثقل علمها على أهل السموات والأرض ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب حدثنا أبو نميلة حدثنى محمد بن سهل الأسدى عن ورقاء قال أقرأنيها سعيد بن جبير أكاد أخفيها يعنى بنصب الألف وخفض الفاء يقول أظهرها ثم أما سمعت قول الشاعر:

داب شهرين ثم شهراً دميكا بأربكين يخفيان غميزا

قال السدى الغمير نبت رطب ينبت فى خلال يبس، والأربكين موضع ، والدميك الشهر التام وهذا الشعر لكعب ابن زهير . وقوله سبحانه وتعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أى أقيمها لا محالة لأجزى كل عامل بعمله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (وإنما تجزون ما كنتم تعملون) وقوله (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) الآية المراد بهذا الخطاب أحاد المكلفين أى لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذه فى دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر (فتردى) أى تهلك وتعطب قال الله تعالى (وما يغنى عنه ماله إذا تردى) .

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عزوجل وأنه لا يأتى به إلا نبى مرسل ، وقوله (وما تلك بيمينك يا موسى) قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له وقيل وإنما قال له ذلك على وجه التقرير أى أما هذه التى فى يمينك عصاك التى تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن (وما تلك بيمينك ياموسى) استفهام تقرير (قال هى عصاى أتوكؤ عليها) أى أعتمد عليها فى حال المشى

(وأهش بها على غنمى) أى أهز بها الشجرة ليتساقط ورقها لترعاه غنمى ، قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك: الهش أن يضع الرجل المحجن فى الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخبط وكذا قال ميمون بن مهران أيضا . وقوله (ولى فيها مآرب أخرى) أى مصالح ومنافع وحاجات أخر غير ذلك ، وقد تكلف بعضهم لذكر شىء من تلك المآرب التى أبهمت فقيل كانت تضىء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية ، وكذا قول بعضهم إنها كانت لآدم عليه الصلاة والسلام وقول الآخر إنها هى الدابة التى تخرج قبل يوم القيامة ، وروى عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب . وقوله تعالى (قال ألقها ياموسى) أى هذه العصا التى فى يدك ياموسى ألقها (فألقاها فإذا حية تسعى) أى صارت فى الحال حية عظيمة ثعبانا طويلا يتحرك حركة سريعة فإذا هى تهتز كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه فى غاية الكبر وفى غاية سرعة الحركة (تسعى) أى تمشى وتضطرب قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس (فألقاها فإذا هى حية تسعى) ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة فى جوفها فولى مدبراً ونودى أن ياموسى خذها فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خذها ولا تخف فقيل له فى الثالثة إنك من الآمنين فأخذها . وقال وهب بن منبه فى قوله (فألقاها فإذا حية تسعى) قال فألقاها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغى شيئاً يريد أخذه يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها ويطعن بالناب من أنيابه فى أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه تتقدان ناراً وقد عاد المحجن منها عرفاً قيل شعر مثل النيازك وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى ياموسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال (خذها) بيمينك (ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف فدخلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده فقال له ملك أرأيت ياموسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغنى عنك شيئاً قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فاذا هى عصاه التى عهدها وإذا يده فى موضعها الذى كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين ولهذا قال تعالى (سنعيدها سيرتها الأولى) أى إلى حالها التى تعرف قبل ذلك

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى * ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده فى جيبه كما صرح به فى الآية الأخرى وههنا عبر عن ذلك بقوله (واضمم يدك إلى جناحك) وقال فى مكان آخر (واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه) وقال مجاهد واضمم يدك إلى جناحك كفك تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده فى جيبه ثم أخرجها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) أى من غير

برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم ، وقال الحسن البصرى أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقى ربه عز وجل ولهذا قال تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) وقال وهب قال له ربه: ادنه فلم يزل يدنيه حتى سند ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده فى العصا وخضع برأسه وعنقه وقوله (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أى اذهب إلى فرعون ملك مصر الذى خرجت فارا منه وهاربا فادعه إلى عبادة الله وحده لاشريك له ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يعذبهم فانه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الرب الأعلى . قال وهب بن منبه : قال الله لموسى انطلق برسالتى فإنك بسمعى وعينى وإن معك يدى وبصرى وإنى قد ألبستك جنة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى فأنت جند عظيم من جندى بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته الدنيا عنى حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم أنه لا يعرفنى فإنى أقسم بعزتى لولا القدر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار فان أمرت السماء حصبته وإن أمرت الأرض ابتلعته وإن أمرت الجبال دمرته وإن أمرت البحار غرقته ولكنه هان على وسقط من عينى ووسعه حلمى واستغنيت بما عندى وحقى إنى أنا الغنى لاغنى غيرى فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وتوحيدى وإخلاصى وذكره أيامى وحذره نقمتى وبأسى وأخبره أنه لايقوم شىء لغضبى وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وأخبره أنى إلى العفو والمغفرة أسرع منى إلى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا فإن ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذنى وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة فى كلها أنت مبارزه بالمحاربة تسبه وتتمثل به وتصد عباده عن سبيله وهو يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء الله أن يعجل لك العقوبة لفعل ولكنه ذو أناة وحلم عظيم وجاهده بنفسك وأخيك وأنتما تحتسبان بجهاده فإنى لو شئت أن آتيه بجنود لاقبل له بها لفعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذى قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة ولا قليل منى تغلب الفئة الكثيرة بإذنى ولا تعجبنكما زينته ولا ممتع به ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائى وقديما ماجرت عادتى فى ذلك فانى لأذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعى الشفيق إبله عن مبارك الغرة وماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم فى دار كرامتى سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ، واعلم أنه لايتزين لى العباد بزينة هى أبلغ فيما عندى من الزهد فى الدنيا فانها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسيماهم فى وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائى حقا حقا ، فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك واعلم أنه من أهان لى وليا أو أخافه فقد بارزنى بالمحاربة وبادأنى وعرض لى نفسه ودعانى إليها وأنا أسرع شىء إلى نصرة أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى ، أم يظن الذى يعادينى أن يعجزنى أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى أو يفوتنى . وكيف وأنا الثائر لهم فى الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيرى رواه ابن أبى حاتم (قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به فانه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم ، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفرا وأكثرهم جنودا وأعمرهم ملكا وأطغاهم وأبلغهم تمردا بلغ من أمره أن ادعى أنه لايعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلها غيره ، هذا وقد مكث موسى فى داره مدة وليدا عندهم فى حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفسا فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيرا يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لاشريك له ولهذا قال (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) أى إن لم تكن أنت عونى ونصيرى وعضدى وظهيرى وإلا فلا طاقة لى بذلك (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) وذلك لما كان أصابه من اللثغ حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه كما سيأتى بيانه وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث

يزول العى ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ، ولو سأل الجميع لزال ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخبارا عن فرعون أنه قال (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) أى يفصح بالكلام ، وقال الحسن البصرى (واحلل عقدة من لسانى) قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطي ، وقال ابن عباس شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون فى القتيل وعقدة لسانه فإنه كان فى لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءاً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فآتاه سؤله فحل عقدة من لسانه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر حدثنى بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأس لولا أنك تلحن فى كلامك ولست تعرب فى قراءتك فقال القرظى يا ابن أخى ألست أفهمك إذا حدثتك . قال نعم قال فان موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كى يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه . وقوله (واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى) وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام فى أمر خارجى عنه وهو مساعدة أخيه هرون له . قال الثورى عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال نبئ هرون ساعتئذ حين نبئ موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر فنزلت ببعض الأعراب فسمعت رجلا يقول أى أخ كان فى الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا لا ندرى . قال أنا والله أدرى؟ قالت فقلت فى نفسى فى حلفه لا يستثنى إنه ليعلم أى أخ كان فى الدنيا أنفع لأخيه . قال موسى حين سأل لأخيه النبوة ، فقلت صدق والله . قلت ومن هذا قال الله تعالى فى الثناء على موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيهاً) وقوله (اشدد به أزرى)) قال مجاهد ظهرى (وأشركه فى أمرى) أى فى مشاورتى (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعاً ، وقوله (إنك كنت بنا بصيرا) أى فى اصطفائك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثتك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ * إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ * أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ * إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد ولد فى السنة التى يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله فى البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بحبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها فى قوله (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) فذهب به البحر إلى دار فرعون (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) أى قدرا مقدورا من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بنى إسرائيل حذرا من وجود موسى فحكم الله وله السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون ويغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى (يأخذه عدو لى وعدو له * وألقيت عليك محبة منى) أى عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كهيل (وألقيت عليك محبة منى) قال حببتك إلى عبادى (ولتصنع على عينى) قال أبو عمران الجونى تربى بعين الله وقال قتادة تغذى على عينى وقال معمر بن المثنى (ولتصنع على عينى) بحيث أرى ، وقال عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم يعنى أجعله فى بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة . وقوله (إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها) وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأباها قال الله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل) فجاءت أخته وقالت (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) تعنى هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة فى الدنيا وفى الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء فى الحديث « مثل الصانع الذى يحتسب فى صنعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » وقال تعالى ههنا (فرجعناك إلى أمك كى تقر عنها ولا تحزن) أى عليك (وقتلت نفسا) يعنى القبطى (فنجيناك من الغم) وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربا حتى ورد ماء مدين ، وقال له ذلك الرجل الصالح (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) .وقوله(وفتناك فتونا) قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى رحمه الله فى كتاب التفسير من سننه قوله (وفتناك فتونا) ﴿ حديث الفتون ﴾ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبى أيوب أخبرنى سعيد بن جبير قال سأل عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام (وفتناك فتونا) فسألته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدنى من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل فى ذريته أبناء وملوكا فقال بعضهم إن بنى إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فى بنى إسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بنى إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يذبحون قالوا ليوشكن أن تفنوا بنى إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التى يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر واتركوا بناتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ولم يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون فى العام الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع فى قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير مادخل عليه وهو فى بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله فى تابوت ثم تلقيه فى اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت فى نفسها ما فعلت بابنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيتانه فانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى امرأة فرعون فلما رأينه أخذنه فأردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن إن فى هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يخرجن منه شيئاً حتى دفعنه إليها فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها محبة لم يلق منها على أحد قط وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شىء إلا من ذكر موسى فلما سمع النباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم أقروه فان هذا الواحد لا يزيد فى بنى إسرائيل حتى آتى فرعون فأستوهبه منه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألمكم فأتت فرعون فقالت قرة عين لى ولك فقال فرعون يكون لك فأما لى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمه ذلك » فأرسلت إلى من حولها إلى كل امرأة لها لأن تختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا تأخذه منها فلم يقبل وأصبحت أم موسى والهافقالت لأخته قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى ابنى أم قد

أكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدها فيه فبصرت به أخته عن جنب وهم لايشعرون ، والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهولايشعر به فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا مايدريك مانصحهم له هل تعرفينه ؟ حتى شكوا فى ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم فى صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت إليها فأتت بها وبه فلما رأت مايصنع بها قالت امكثى ترضعى ابنى هذا فانى لم أحب شيئاً حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتى فيكون معى لا آلوه خيراً فانى غير تاركة بيتى وولدى ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو إسرائيل وهم فى ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيرينى ابنى فوعدتها يوما تزيرها إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظؤرها وقهارمتها لايبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أمينا يحصى مايصنع كل إنسان منكم فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه فلما دخلت به عليه جعله فى حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه انه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلى به . وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت مابدالك فى هذا الغلام الذى وهبته لى ؟ فقال ألا ترينه يزعم أنه يصرعنى ويعلونى فقالت اجعل بينى وبينك أمرا يعرف الحق به ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقدمهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لايؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فقرب اليه الجمرتين واللؤلؤتين فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما موسى عليه السلام يمشى فى ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعونى والآخر إسرائيلى فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى غضباً شديدا لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بنى إسرائيل وحفظه لهم لايعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على مالم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعونى فقتله وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ثم قال (رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله إنه هو الغفور الرحيم) فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له إن بنى إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وإن كان صفوة مع قومه لايستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لى علم ذلك آخذ لكم بحقكم فبينما هم يطوفون لايجدون ثبتاً إذا بموسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلى يقاتل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذى رأى فغضب الاسرائيلى وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالأمس واليوم إنك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى إلى موسى بعد ماقال له ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوى مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراده إنما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيل وقال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتتاركا وانطلق الفرعونى فأخبرهم بما سمع

من الإسرائيلى من الخبر حين يقول ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون فى الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى وهم لايخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل * ولماورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان) يعنى بذلك حابستين غنمهما فقال لهما ماخطبكما معتزلتين لاتسقيان مع الناس ؟ قالتا ليس لنا قوه نزاحم القوم وإنما نسقى من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف فى الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال (ربى إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال إن لكما اليوم لشأنا فأخبرتاه بما صنع موسى فأمر إحداهما أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا فى مملكته فقالت إحداهما (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين) فاحتملته الغيرة على أن قال لها مايدريك مافوته وما أمانته فقالت أما قوته فما رأيت منه فى الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى فى ذلك السقى منه وأما الأمانة فانه نظر إلى حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لى امشى خلفى وانعتى لى الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذى قالت فقال له هل لك أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين . ففعل فكانت على نبى الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرا ، قال سعيد وهو ابن جبير : فلقينى رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدرى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت لا وأنا يومئذ لا أدرى ، فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك ، فقال أما علمت أن ثمانيا كانت على نبى الله وجبة لم يكن نبى الله لينقص منها شيئا ويعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التى كان وعده فانه قضى عشر سنين ، فلقيت النصرانى فأخبرته ذلك فقال الذى سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ، قلت أجل وأولى ، فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ماقص الله عليك فى القرآن فشكا إلى الله تعالى مايحذر من آل فرعون فى القتيل وعقدة لسانه فانه كان فى لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هرون يكون له ردءا ويتكلم عنه بكثير ممالا يفصح به لسانه ، فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هرون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بعصاه حتى لقى هرون عليه السلام ، فانطلقا جميعا إلى فرعون فأقاما على بابه حينا لايؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا (إنا رسولا ربك) قال فمن ربكما ؟ فأخبراه بالذى قص الله عليك فى القرآن ؟ قال فما تريدان ؟ وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا بنى إسرائيل ؟ فأبى عليه وقال ائت بآية إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هى حية تسعى عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة اليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول ، فاستشار الملأ حوله فيما رأى ، فقالوا له هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب وقالوا له اجمع لنا السحرة فانهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما فارسل إلى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات ، قالوا فلا والله ما أحد فى الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذى نعمل فما أجرنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أنتم أقاربى وخاصتى وأنا صانع اليكم كل شىء أحببتم ، فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى . قال سعيد بن جبير فحدثنى ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء . فلما اجتمعوا

فى صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) يعنون موسى وهارون استهزاء بهما ؟ فقالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين *قال بل ألقوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم وقالو بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) فرأى موسى من سحرهم ما أوجس فى نفسه خيفة فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزاً إلى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصا ولا حبلا إلا ابتعلته فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله عز وجل آمنا بالله وبما جاء به موسى من عند الله ونتوب إلى الله مما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون فى ذلك الموطن وأشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها وهمها لموسى ، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بنى إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويواثقه على أن يرسل معه بنى إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل فى المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدى موسى بعصاه فانفلق اثنتى عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التق على من بقى بعد من فرعون وأشياعه ، فنسى موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله . فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون افعل ما أمرك به ربك فانه لم يكذب ولم تكذب . قال وعدنى ربى إذا أتيت البحر انفرق اثنتى عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصى فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم (قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الآية . قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى فأنزلهم موسى منزلا وقال أطيعوا هارون فانى قد استخلفته عليكم فانى ذاهب إلى ربى وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذى كان ، قال يا رب إنى كرهت أن أكلمك إلا وفمى طيب الريح قال أوما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ارجع فصم عشراً ثم ائتنى ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قومه أنه لم يرجع إليهم فى الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال إنكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوارى وودائع ولكم فيهم مثل ذلك فانى أرى أنكم تحتسبون مالكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين إليهم شيئا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا فحفر حفيرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه فى ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامرى من قوم يعبدون البقر جيران لبنى إسرائيل ولم يكن من بنى إسرائيل فاحتمل مع موسى وبنى إسرائيل حين احتملوا فقضى له أن رأى أثرا فقبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامرى ألا تلقى ما فى يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذى جاوز بكم البحر ولا ألقيها لشىء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يجعلها ما أريد ، فألقاها ودعا له هارون ، فقال أريد أن يكون عجلا فاجتمع ما كان فى الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلا أجوف ليس فيه روح وله خوار ، قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط

إنما كانت الريح تدخل فى دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو إسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامرى ما هذا وأنت أعلم به؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق ، فقالت فرقة لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فان كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى ، وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة فى قلوبهم الصدق بما قال السامرى فى العجل وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون (يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى) قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا ، هذه أربعون يوما قد مضت ، وقال سفهاؤهم أخطأ ربه فهو يطلبه يتبعه ، فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقى قومه من بعده (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) فقال لهم ما سمعتم فى القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف إلى السامرى فقال له ما حملك على ما صنعت قال قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لما وعميت عليكم (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ، قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً) ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هارون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك لا يألو الخير خيار بنى إسرائيل ومن لم يشرك فى العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبى الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) فقال يا رب سألتك التوبة لقومى فقلت إن رحمتى كتبتها لقوم غير قومى هلا أخرتنى حتى تخرجنى فى أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقى من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالى من قتل فى ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفى على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذى أمرهم به أن يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر وذكروا من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأت قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجا إليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس إنهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم موسى فاسقين وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام فى التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فى كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التى يشربون منها فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك بالحجر بينهم بالمكان الذى كان فيه بالأمس : رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبى ﷺ وصدق ذلك عندى أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعونى الذى أغشى

على موسى أمر القتيل الذى قتل فقال كيف يفشى عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلى الذى حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الزهرى فقال له يا أبا إسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذى قتل من آل فرعون ؟ الاسرائيلى الذى أفشى عليه أم الفرعونى ؟ قال إنما أفشى عليه الفرعونى بما سمع من الإسرائيلى الذى شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائى فى السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار . أو غيره والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول ذلك أيضاً ، وقوله عزوجل

﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾

يقول تعالى مخاطباً لموسى عليه السلام إنه لبث مقيما فى أهل مدين فارا من فرعون وملئه يرعى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الأجل ثم جاء موافقاً لقدر الله وإرادته من غير ميعاد والأمر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مجاهد أى على موعد ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله (ثم جئت على قدر ياموسى) قال على قدر الرسالة والنبوة . وقوله (واصطنعتك لنفسى) أى اصطفيتك واجتبيتك رسولا لنفسى أى كما أريد وأشاء ، وقال البخارى عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدى بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذى أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذى اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا على قبل أن يخلقنى قال نعم فحج آدم موسى » أخرجاه وقوله (اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى بحججى وبراهينى ومعجزاتى (ولا تنيا فى ذكرى) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا تبطئا ، وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعفا والمراد أنهما لا يفتران فى ذكر الله بل يذكران الله فى حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عونا لهما عليه وقوة لهما وسلطانا كاسراً له كما جاء فى الحديث « إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه » وقوله (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) أى تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون فى غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشى عند قوله (فقولا له قولا لينا)

يامن يتحبب إلى من يعاديه ، فكيف بمن يتولاه وينادیه ؟

وقال وهب بن منبه قولا له إنى إلى العفو والمغفرة أقرب منى إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة فى قوله (فقولا له قولا لينا) قال لا إله إلا الله ، وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى (فقولا له قولا لينا) أعذرا إليه قولا له إن لك ربا ولك معادا وإن بين يديك جنة وناراً وقال بقيه عن على بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن على فى قوله (فقولا له قولا لينا) قال كنيه وكذا روى عن سفيان الثورى كنيه بأبى مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ وأنجع كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وقوله (لعله يتذكر أو يخشى) أى لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أى يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى (لمن أراد أن يذكر أو يخشى) فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة ، وقال الحسن البصرى (لعله يتذكر أو يخشى) يقول : لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون أهلكه قبل أن أعذر إليه ، وههنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل ويروى لأمية بن

أبى الصلت فيما ذكره ابن إسحاق .

وأنت الذى من فضل من ورحمة ... بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا ... إلى الله فرعون الذى كان باغيا
فقولا له هل أنت سويت هذه ... بلاوتد حتى استقلت كما هيا
وقولا له آ أنت رفعت هذه ... بلا عمد ارفق إذن بك بانيا
وقولا له آ أنت سويت وسطها ... منيرا إذا ماجنه الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة ... فيصبح مامست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى ... فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رءوسه ... ففى ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله عز وجل :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن موسى وهرون عليهما السلام أنهما قالا مستجيرين بالله تعالى شاكين إليه (إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعتدى عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يبسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يطغى : يعتدى (قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) أى لا تخافا منه فانى معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علىّ من أمركم شىء واعلما أن ناصيته بيدى فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا باذنى وبعد أمرى وأنا معكما بحفظى ونصرى وتأييدى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عزوجل موسى إلى فرعون فقال رب أى شىء أقول قال قل هياشراهيا قال الأعمش فسر ذلك أنا الحى قبل كل شىء والحى بعد كل شىء إسناد جيد وشىء غريب (فأتياه فقولا إنا رسولا بك) قد تقدم فى حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثا على بابه حينا لا يؤذن لهما حتى أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن إسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هرون خرجا فوقفا بباب فرعون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان: إنا رسولا رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فمكثا فيما يلغنى سنتين يغدوان ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك إن على بابك رجلا يقول قولا عجبا يزعم أن له إلها غيرك أرسله إليك . قال ببابى ؟ قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفى يده عصاه فلما وقف على فرعون قال إنى رسول رب العالمين فعرفه فرعون ، وذكر السدى أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامهما ليلتئذ الطفيل وهو اللفت ثم عرفاه وسلما عليه فقال له موسى ياهرون إن ربى قد أمرنى أن آتى هذا الرجل فرعون فأدعوه إلى الله وأمرك أن تعاونى قال افعل ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترىء على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بأن ههنا رجلا مجنونا يقول إنه رسول الله فقال على به فلما وقفا بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله فى كتابه وقوله (قد جئناك بآية من ربك) أى بدلالة ومعجزة من ربك (والسلام على من اتبع الهدى) أى والسلام عليك إن اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم

الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » وكذلك لما كتب مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا صورته من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد أشركت فى الأمر فلك المدر ولى الوبر ولكن قريش قوم يعتدون فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون (والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) أى قد أخبرنا الله فيما أوحاه الينا من الوحى المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هى المأوى) وقال تعالى (فأنذرتكم ناراً تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذى كذب وتولى) وقال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) أى كذب بقلبه وتولى بفعله

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى منكرا وجود الصانع الخالق إله كل شىء وربه ومليكه قال (فمن ربكما يا موسى) أى الذى بعثك وأرسلك من هو فانى لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيرى (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول خلق لكل شىء زوجه وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الإنسان إنسانا والحمار حمارا والشاة شاة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد أعطى كل شىء صورته وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد: سوى خلق كل دابة وقال سعيد بن جبير فى قوله (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) قال أعطى كل ذى خلق ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شىء ما ينبغى له من النكاح وهيأ كل شىء على ذلك ليس شىء منها يشبه شيئا من أفعاله فى الخلق والرزق والنكاح ، وقال بعض المفسرين أعطى كل شىء خلقه ثم هدى كقوله تعالى (الذى قدر فهدى) أى قدر قدرا وهدى الخلائق إليه أى كتب الأعمال والآجال والأرزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه . يقول ربنا الذى خلق الخلق وقدر القدر وجبل الخليقة على ما أراد (قال فما بال القرون الأولى) أصح الأقوال فى معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذى أرسله هو الذى خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الأولى أى الذين لم يعبدوا الله أى فما بالهم إذ كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى فى جواب ذلك هم وإن لم يعبدوه فان عملهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزيهم بعملهم فى كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال (لا يضل ربى ولا ينسى) أى لا يشذ عنه شىء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئا يصف عليه تعالى بأنه بكل شىء محيط وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى وتقدس وتنزه فان علم المخلوق يعتريه نقصان أحدهما عدم الاحاطة بالشىء والآخر نسيانه بعد علمه فنزه نفسه عن ذلك

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ * وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾

هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال (الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى)

ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال (الذى جعل لكم الأرض مهادا) وفى قراءة بعضهم مهدا أى قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها (وسلك لكم فيها سبلا) أى جعل لكم طرقا تمشون فى منا كبها كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتد ون) (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أى من أنواع النباتات من زروع وثمار ومن حامض وحلو ومر وسائر الأنواع (كلوا وارعوا أنعامكم) أى شىء لطعامكم وفاكهتكم وشىء لأنعامكم لأقواتها خضرا ويبسا (إن فى ذلك لآيات) أى لدلالات وحججا وبراهين (لأولى النهى) أى لذوى العقول السليمة المستقيمة على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) أى من الأرض مبدؤكم فان أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض وفيها نعيدكم أى وإليها تصيرون إذا متم وبليتم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وهذه الآية كقوله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وفى الحديث الذى فى السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها فى القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى وقوله (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) يعنى فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعاين ذلك وأبصره فكذب بها وأباها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهى إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولى به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحرا مثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أى يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر فى مكان معين ووقت معين فعند ذلك (قال) لهم موسى (موعدكم يوم الزينة) وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال (وأن يحشر الناس) أى جميعهم (ضحى) أى ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح ، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء وقال السدى وقتادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبير كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفى مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت فى الصحيح وقال وهب ابن منبه قال فرعون ياموسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أومر بهذا إنما أمرت بما جزتك إن أنت لم تخرج دخلت إليك فأوحى الله إلى موسى أن اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله إلى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقتادة مكانا سوى منصفا وقال السدى عدلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستو بين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شىء يتغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ * قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون أنه لما تواعد هو وموسى عليه السلام إلى وقت ومكان معلومين تولى أى شرع فى جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب إلى السحر فى ذلك الزمان وقد كان السحر فيهم كثيرا نافقا جدا كما قال تعالى (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم) ثم أتى أى اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكابر دولته ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه أخوه هرون ووقفت السحرة بين يدى فرعون صفوفا وهو يحرضهم ويحثهم ويرغبهم فى إجادة عملهم فى ذلك اليوم ويتمنون عليه وهو يعدهم ويمنيهم يقولون (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين) (قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا) أى لا تختلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لاحقائق لها وإنها مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله (فيسحتكم بعذاب) أى يهلككم بعقوبة هلا كا لابقية له (وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل معناه أنهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول ليس هذا بكلام ساحر إنما هذا كلام نبى ، وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم . وقوله (وأسروا النجوى) أى تناجوا فيما بينهم (قالوا إن هذان لساحران) وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على إعرابها ، ومنهم من قرأ (إن هذين لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة فى الجواب عن القراءة الأولى بما ليس هذا موضعه . والغرض أن السحرة قالوا فيما بينهم : تعلمون أن هذا الرجل وأخاه — يعنون موسى وهرون — ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان فى هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم . وقوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى) أى ويستبدا بهذه الطريقة وهى السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم أموال وأرزاق عليها يقولون إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض وتفردا بذلك وتمحضت لهما الرياسة بهادونكم ، وقد تقدم فى حديث الفتون أن ابن عباس قال فى قوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى) يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن عبد الرحمن بن إسحق سمع الشعبى يحدث عن على فى قوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال يصرفا وجوه الناس اليهما ، وقال مجاهد (ويذهبا بطريقتكم المثلى) قال أولو الشرف والعقل والأسنان . وقال أبو صالح بطريقتكم المثلى أشرافكم وسراتكم ، وقال عكرمة بخيركم ، وقال قتادة وطريقتهم المثلى يومئذ بنو إسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا فقال عدو الله يريدان أن يذهبا بهالا نفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلى بالذى أنتم عليه ، وقوله (فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا) أى اجتمعوا كلكم صفا واحدا وألقوا ما فى أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتغلبوا هذا وأخاه (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى منا ومنه ، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العظاء الجزيل وأما هو فينال الرياسة العظيمة

﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى (إما أن تلقى) أى أنت أولا (وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا) أى أنتم أولا لنرى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جلية أمرهم (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وفى الآية الأخرى أنهم لما ألقوا (قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وقال تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال ههنا (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)

وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيلة وكانوا جما غفيراً وجمعاً كثيرا فألقى كل منهم عصا وحبلا حتى صار الوادى ملآن حيات يركب بعضها بعضاً ، وقوله (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى خاف على الناس أن يفتتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقى ما فى يمينه فأوحى الله تعالى اليه فى الساعة الراهنة أن ألقى ما فى يمينك يعنى عصاك فإذا هى تلقف ماصنعوا وذلك أنها صارت ثنينا عظيما هائلا ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصى حتى لم تبق منها شيئا إلا تلقفته وابتلعته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جهرة نهارا ضحوة ، فقامت المعجزة واتضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن موسى الشيبانى حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ ـ أحسبه الصائغ ـ عن الحسن عن جندب بن عبد الله البجلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أخذتم ـ يعنى الساحر ـ فاقتلوه ـ ثم قرأ ـ (ولا يفلح الساحر حيث أتى) قال لا يؤمن حيث وجد » وقد روى أصله الترمذى موقوفا ومرفوعا . فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن هذا الذى فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مرية فيه ولا يقدر على هذا إلا الذى يقول للشىء كن فيكون فعند ذلك وقعوا سجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذ قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء برره. قال محمد بن كعب كانوا ثمانين ألفاً ، وقال القاسم بن أبى بزة كانوا سبعين ألفاً وقال السدى بضعة وثلاثين ألفاً ، وقال الثورى عن عبد العزيز ابن رفيع عن أبى تمامة كان سحرة فرعون تسعة عشر ألفاً ، وقال محمد بن إسحق كانوا خمسة عشر ألفاً ، وقال كعب الأحبار كانوا اثنى عشر ألفاً ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن على بن حمزة حدثنا على بن الحسين ابن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا المسيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال : قال الأوزاعى لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا إليها ، قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن سلمان عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قوله (وألقى السحرة سجدا) قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم فى سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبى بزة

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ * قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى مارأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلب شرع فى المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه فى السحرة فتهددهم وتوعدهم وقال (آمنتم له) أى صدقتموه (قبل أن آذن لكم) أى وما أمرتكم بذلك وافتتم علىّ فى ذلك ، وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) أى أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى واتفقتم أنتم وإياه علىّ وعلى رعيتى لتظهروه كما قال تعالى فى الآية الأخرى (إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ثم أخذ يتهددهم فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم قال ابن عباس فكان

أول من فعل ذلك رواه ابن أبي حاتم . وقوله (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) أى أتم تقولون إنى وقومى على ضلالة وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه ، فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم فى الله عزوجل و(قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينت) أى لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين (والذى فطرنا) يحتمل أن يكون قسما ويحتمل أن يكون معطوفا على البينات ، يعنون لا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذى أنشأنا من العدم المبتدى خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت (فاقض ما أنت قاض) أى فافعل ماشئت وما وصلت إليه يدك (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى إنما لك تسلط فى هذه الدار وهى دار الزوال ونحن قد رغبنا فى دار القرار (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) أى ما كان منا من الآثام خصوصاً ما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا نعيم بن حماد حدثنا سفيان ابن عيينة عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بنى إسرائيل فأمر أن يعلموا السحر بالفرماء وقال علموهم تعلما لا يعلمه أحد فى الأرض ، قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا (آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقوله (والله خير وأبقى) أى خير لنا منك (وأبقى) أى أدوم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنيتنا وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله . وقال محمد بن كعب القرظى (والله خير)أى لنا منك إن أطيع(وأبقى) أى منك عذابا إن عصى ، وروى نحوه عن ابن إسحاق أيضا . والظاهر أن فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدى ويرغبونه فى ثوابه الأبدى المخلد فقالوا (إنه من يأت ربه مجرما) أى يلق الله يوم القيامة وهو مجرم (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) كقوله (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور) وقال (ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) وقال تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون)وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا إسماعيل أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال ياأهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم فى كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر بن المفضل كلاهما عن أبى سلمة سعيد بن يزيد به وقال ابن أبى حاتم ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا أبى حدثنا حبان سمعت سليمان التيمى عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية (إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) قال النبى ﷺ « أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها فان النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فينبتون كما ينبت العشب فى حميل السيل » وقوله تعالى (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات) أى ومن لقى ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله (فأولئك لهم الدرجات العلى) أى الجنة ذات الدرجات العاليات والغرف الآمنات والمساكن الطيبات . قال الإمام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن

النبي ﷺ قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » ورواه الترمذى من حديث يزيد بن هارون عن همام به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي أخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة فى كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فبهن الياقوت والحلى فى كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد ، وفى الصحيحين « إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر فى أفق السماء لتفاضل ما بينهم — قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال — بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفى السنن وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما وقوله (جنات عدن) أى إقامة وهى بدل من الدرجات العلى (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أى ماكثين أبدا (وذلك جزاء من تزكى) أى طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبد الله وحده لاشريك له واتبع المرسلين فيما جاءوا به من خير وطلب

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبرا أنه أمر موسى عليه السلام حين أبى فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل أن يسرى بهم فى الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام فى غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج ببنى إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لاداع ولا مجيب فغضب فرعون غضبا شديدا وأرسل فى المدائن حاشرين أى من يجمعون له الجند من بلدانه ورساتيقه يقول إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون ثم لما جمع جنده واستوسق له جيشه ساق فى طلبهم فأتبعوهم مشرقين أى عند طلوع الشمس (فلما تراءى الجمعان) أى نظر كل من الفريقين إلى الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين) ووقف موسى ببنى إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه (أن اضرب لهم طريقا فى البحر يبسا) فضرب البحر بعصاه وقال انفلق على بإذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض فلهذا قال (فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا) أى من فرعون (ولا تخشى) يعنى من البحر أن يغرق قومك ثم قال تعالى (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم) أى البحر (ما غشيهم) أى الذى هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور كما قال تعالى (والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى) وقال الشاعر :

* أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أى الذى يعرف وهو مشهور . وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم فى اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ * كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ * وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾

يذكر تعالى نعمه على بنى إسرائيل العظام ومننه الجسام حيث أنجاهم من عدوهم فرعون وأقر أعينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا فى صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذى أظفر الله فيه

موسى على فرعون فقال « نحن أولى بموسى فصوموه » رواه مسلم أيضا فى صحيحه ، ثم إنه تعالى واعد موسى وبنى إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن وهو الذى كلمه الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هنالك وفى غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العجل كما يقصه الله تعالى قريبا ، وأما المن والسلوى فقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة وغيرها فالمن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء ، والسلوى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفا من الله ورحمة بهم وإحسانا إليهم ولهذا قال تعالى (كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى) أى كلوا من هذا الرزق الذى رزقتكم ولا تطغوا فى رزقى فتأخذوه من غير حاجة وتخالفوا ما أمرتكم به (فيحل عليكم غضبى) أى أغضب عليكم (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى فقد شقى وقال شفى بن مانع إن فى جهنم قصرا يرمى الكافر من أعلاه فيهوى فى جهنم أربعين خريفا قبل أن يبلغ الصلصال وذلك قوله (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) رواه ابن أبى حاتم وقوله (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا) أى كل من تاب إلى تبت عليه من أى ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بنى إسرائيل ، وقوله تعالى (تاب) أى رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق ، وقوله (وآمن) أى بقلبه (وعمل صالحا) أى بجوارحه ، وقوله (ثم اهتدى) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى ثم لم يشكك ، وقال سعيد بن جبير (ثم اهتدى) أى استقام على السنة والجماعة ، وروى نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف وقال قتادة (ثم اهتدى) أى لزم الاسلام حتى يموت ، وقال سفيان الثورى (ثم اهتدى) أى علم أن لهذا ثوابا ، وثم ههنا لترتيب الخبر على الخبر كقوله (ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾

لما سار موسى عليه السلام ببنى إسرائيل بعد هلاك فرعون (وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وواعده ربه ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشرا فتمت أربعين ليلة أى يصومها ليلا ونهارا وقد تقدم فى حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادرا الى الطور واستخلف على بنى إسرائيل أخاه هرون ولهذا قال تعالى (وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى) أى قادمون ينزلون قريبا من الطور (وعجلت إليك رب لترضى) أى لتزداد عنى رضا (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث فى بنى إسرائيل وعبادتهم العجل الذى عمله لهم ذلك السامرى. وفى الكتب الاسرائيلية أنه كان اسمه هرون أيضا وكتب الله تعالى له فى هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة كما قال تعالى (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) أى عاقبة الخارجين عن طاعتى المخالفين لأمرى ، وقوله (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) أى بعد ما أخبره تعالى بذلك فى غاية الغضب والحنق عليهم ، هو فيما هو فيه

من الاعتناء بأمرهم وتسلم التوراة التى فيها شريعتهم وفيها شرف لهم وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ماهم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ولهذا قال رجع إليهم غضبان أسفا والأسف شدة الغضب وقال مجاهد غضبان أسفا أى جزعا وقال قتادة والسدى أسفا حزينا على ماصنع قومه من بعده (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أى أما وعدكم على لسانى كل خير فى الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادى الله (أفطال عليكم العهد) أى فى انتظار ماوعدكم الله ونسيان ماسلف من نعمه وماالعهد من قدم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أم ههنا بمعنى بل وهى للاضراب عن الكلام الأول وعدول إلى الثانى كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا أى بنوا إسرائيل فى جواب ما أنبهم موسى وقرعهم (ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى عن قدرتنا واختيارنا ، ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلى القبط الذى كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقذفناها أى ألقيناها عنا ، وقد تقدم فى حديث الفتون أن هرون عليه السلام هو الذى كان أمرهم بالقاء الحلى فى حفرة فيها نار وهى فى رواية السدى عن أبى مالك عن ابن عباس إنما أراد هرون أن يجتمع الحلى كله فى تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه مايشاء ثم جاء ذلك السامرى فألقى عليها تلك القبضة التى أخذها من أثر الرسول وسأل من هرون أن يدعوالله أن يستجيب له فى دعوة فدعا له هرون وهو لايعلم مايريد فأجيب له فقال السامرى عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا فكان عجلا له خوار أى صوت استدراجا وإمهالا ومحنة واختبارا ولهذا قال (فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبادة بن البخترى حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هرون مر بالسامرى وهو ينحت العجل فقال له ماتصنع فقال أصنع مايضر ولا ينفع فقال هرون اللهم أعطه ماسألك على مافى نفسه ومضى هرون وقال السامرى اللهم إنى أسألك أن يخور فخار فكان إذاخار سجدوا له وإذا خار رفعوا رءوسهم . ثم رواه من وجه آخر عن حماد وقال أعمل ماينفع ولايضر وقال السدى كان يخور ويمشى فقالوا أى الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه (هذا إلهكم وإله موسى فنسى) أى نسيه ههنا وذهب يتطلبه كذا تقدم فى حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنسى أى نسى أن يذكركم أن هذا إلهكم وقال محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقالوا (هذا إلهكم وإله موسى) قال فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط يعنى مثله يقول الله (فنسى) أى ترك ما كان عليه من الإسلام يعنى السامرى قال الله تعالى ردا عليهم وتقريعا لهم وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا اليه (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أى العجل أفلا يرون انه لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أى فى دنياهم ولا فى أخراهم قال ابن عباس رضى الله عنهما لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الريح فى دبره فيخرج من فمه فيسمع له صوت ، وقد تقدم فى حديث الفتون عن الحسن البصرى أن هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير كما جاء فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب يعنى هل يصلى فيه أم لا فقال ابن عمر رضى الله عنهما انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة !

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

يخبر تعالى عما كان من نهى هرون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل وإخباره إياهم إنما هذا فتنة لكم وإن ربكم الرحمن الذى خلق كل شىء فقدره تقديراً ،ذو العرش المجيد الفعال لما يريد (فاتبعونى وأطيعوا أمرى) أى فيما آمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) أى لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هرون فى ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾

يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع إلى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم فامتلأ عند ذلك غضبا وألقى ما كان فى يده من الألواح الإلهية وأخذ برأس أخيه يجره إليه وقد قدمنا فى سورة الأعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » وشرع يلوم أخاه هرون فقال (ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) أى فتخبرنى بهذا الأمر أول ما وقع (أفعصيت أمرى) أى فيما كنت قدمت إليك وهو قوله (اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) قال (يا ابن أم) ترقق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ فى الحنو والعطف ولهذا قال (يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) الآية . هذا اعتذار من هرون عند موسى فى سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم (قال إنى خشيت) أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول لى لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم (ولم ترقب قولى) أى وما راعيت ما أمرتك به حيث استخلفتك فيهم،قال ابن عباس وكان هرون هائباً مطيعاً له

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ۞ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۞ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۞ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول موسى عليه السلام للسامرى ماحملك على ما صنعت وما الذى عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان السامرى رجلا من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر فى نفسه وكان قد أظهر الإسلام مع بنى إسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفى رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان وقال قتادة كان من قرية سامرا (قال بصرت بما لم يبصروا به) أى رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيدالله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن السدى عن أبى بن عمارة عن على رضى الله عنه قال إن جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام إلى السماء بصر به السامرى من بين الناس فقبض قبضة من أثر الفرس قال وحمل جبريل موسى عليهما السلام خلفه حتى إذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الألواح وهو يسمع صرير الأقلام فى الألواح فلما أخبره أن قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه،غريب،وقال مجاهد (فقبضت قبضة من أثر الرسول) قال من تحت حافر فرس جبريل،قال والقبضة ملء الكف والقبضة بأطراف الأصابع ، قال مجاهد نبذ السامرى أى ألقى ما كان فى يده على حلية بنى إسرائيل فانسبك

عجلا جسداً له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمارة حدثنا عكرمة أن السامري رأى الرسول فألقى في روعه أنك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء قلت له كن فكان فقبض قبضة من أثر الرسول فيبست أصابعه على القبضة ، فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلى آل فرعون فقال لهم السامري إنما أصابكم من أجل هذا الحلى فاجمعوا فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرآه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت كن فكان فقذف القبضة وقال كن فكان عجلا جسدا له خوار فقال (هذا إلهكم وإله موسى) ولهذا قال (فنبذتها) أي ألقيتها مع من ألقى (وكذلك سولت لي نفسي) أي حسنته وأعجبها إذ ذاك (قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) أي كما أخذت ومست مالم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أي لا تماس الناس ولا يمسونك (وإن لك موعداً) أي يوم القيامة (لن تخلفه) أي لا محيد لك عنه ، وقال قتادة (أن تقول لا مساس) قال عقوبة لهم وبقاياهم اليوم يقولون لا مساس : وقوله (وإن لك موعداً لن تخلفه) قال الحسن وقتادة وأبو نهيك لن تغيب عنه وقوله (وانظر إلى إلهك) أي معبودك (الذي ظلت عليه عاكفا) أي أقمت على عبادته يعني العجل (لنحرقنه) قال الضحاك عن ابن عباس والسدي سحله بالمبارد وألقاه على النار ، وقال قتادة استحال العجل من الذهب لحما ودما فحرقه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال (ثم لننسفنه في اليم نسفا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : إن موسى لما تعجل إلى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلى نساء بني إسرائيل ثم صوره عجلا قال فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما توبتنا ؟ قال يقتل بعضكم بعضا وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك وقوله تعالى (إنما إلهكم الله الذي لا إله هو وسع كل شيء علما) يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له فان كل شيء فقير إليه عبد له وقوله (وسع كل شيء علما) نصب على التمييز أي هو عالم بكل شيء ، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ، والآيات في هذا كثيرة جداً

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا * مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وِزْرًا * خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والأمر الواقع كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص ، هذا وقد آتيناك من لدنا أي من عندنا ذكراً وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي لم يعط نبي من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم كتابا مثله ولا أكمل منه ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ، وقوله تعالى (من أعرض عنه) أي كذب به وأعرض عن اتباعه أمرا وطلبا وابتغى الهدى من غيره فان الله يضله ويهديه إلى سواء الجحيم ولهذا قال (من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً) أي إثما كما قال تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال (لأنذركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدى

ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقى فى الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه) أى لا محيد لهم عنه ولا انفكاك (وساءلهم يوم القيامة حملا) أى بئس الحمل حملهم

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾

ثبت فى الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الصور فقال «قرن ينفخ فيه» وقد جاء فى حديث الصور من رواية أبى هريرة أنه قرن عظيم، الدائرة منه بقدر السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام وجاء فى الحديث « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » فقالوا يا رسول الله كيف نقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال (يتخافتون بينهم) قال ابن عباس يتسارون بينهم أى يقول بعضهم لبعض إن لبثتم إلا عشرا أى فى الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلا عشرة أيام أونحوها قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى فى حال تناجيهم بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى العاقل الكامل فيهم (إن لبثتم إلا يوما) أى لقصر مدة الدنيا فى أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أو قاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم فى ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة ولهذا قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة — إلى قوله — ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) الآية وقال تعالى (كم لبثتم فى الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أى إنما كان لبثكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لآثرتم الباقى على الفانى ولكن تصرفتم فأسأتم التصرف قدمتم الحاضر الفانى على الدائم الباقى .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾

يقول تعالى (ويسألونك عن الجبال أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول ؟ فقل ينسفها ربى نسفا) أى يذهبها عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييرا (فيذرها) أى الأرض (قاعا صفصفا) أى بساطا واحداً والقاع هو المستوى من الأرض والصفصف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذى لا نبات فيه والأول أولى وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم ولهذا قال (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) أى لا ترى فى الأرض يومئذ واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف (يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له) أى يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسارعين إلى الداعى حيثما أمروا بادروا إليه ولو كان هذا فى الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) وقال (مهطعين إلى الداع) وقال محمد ابن كعب القرظى يحشر الله الناس يوم القيامة فى ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه ، فذلك قوله (يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له) وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله (وخشعت الأصوت للرحمن) قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدى (فلا تسمع إلا همسا) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى وطء الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (فلا تسمع إلا همساً) الصوت الخفى وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبير (فلا تسمع إلا همساً) الحديث وسره ووطء الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين

وهو محتمل أما وطء الأقدام فالمراد سعى الناس إلى المحشر وهو مشيهم فى سكون وخضوع ، وأما الكلام الخفى فقد يكون فى حال دون حال فقد قال تعالى (يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد)

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

يقول تعالى (يومئذ) أى يوم القيامة (لاتنفع الشفاعة) أى عنده (إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقوله (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وقال (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلائق على الله عزوجل أنه قال « آتى تحت العرش وأخر لله ساجدا ويفتح على بمحامد لا أحصيها الآن فيد عنى ماشاء أن يدعنى ثم يقول يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع - قال - فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود » فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء . وفى الحديث أيضا « يقول تعالى أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول أخرجوا من النار من كان فى قلبه نصف مثقال من إيمان أخرجوا من النار من كان فى قلبه ما يزن ذرة من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان » الحديث ، وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى يحيط علماً بالخلائق كلهم (ولا يحيطون به علماً) كقوله (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) وقوله (وعنت الوجوه للحى القيوم) قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لايموت ، القيوم الذى لاينام وهو قيم على كل شىء يدبره ويحفظه فهو الكامل فى نفسه الذى كل شىء فقير إليه لا قوام له إلا به ، وقوله (وقد خاب من حمل ظلما) أى يوم القيامة فإن الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، وفى الحديث « يقول الله عزوجل وعزتى وجلالى لايجاوزنى اليوم ظلم ظالم » وفى الصحيح « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة والحيبة كل الحيبة من لقى الله وهو به مشرك فان الله تعالى يقول إن الشرك لظلم عظيم » وقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) لما ذكر الظالمين ووعيدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أى لايزاد فى سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحدة فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾

يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لامحالة أنزلنا القرآن بشيراً ونذيرا بلسان عربى مبين فصيح لا لبس فيه ولاعى (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون) أى يتركون المآثم والمحارم والفواحش (أو يحدث لهم ذكرا) وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات (فتعالى الله الملك الحق) أى تنزه وتقدس الملك الحق الذى هو حق ووعده حق ووعيده حق ورسله حق والجنة حق والنار حق وكل شىء منه حق ، وعدله تعالى أن لا يعذب أحدا قبل الانذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة ، وقوله (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن

يقضى إليك وحيه) كقوله تعالى فى سورة لاأقسم بيوم القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه*) فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه) وثبت فى الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحى شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعنى أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحى كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله تعالى إلى ماهو الأسهل والأخف فى حقه لئلا يشق عليه فقال (لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) أى أن نجمعه فى صدرك ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئا (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال فى هذه الآية (ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) أى بل أنصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده (وقل رب زدنى علما) أى زدنى منك علما ، قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم فى زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء فى الحديث « إن الله تابع الوحى على رسوله حتى كان الوحى أكثر ما كان يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عبدالله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ماينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال » وأخرجه الترمذى عن أبى كريب عن عبد الله بن نمير به وقال غريب من هذا الوجه ، وراه البزار عن عمرو بن على الفلاس عن أبى عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد فى آخره « وأعوذ بالله من حال أهل النار »

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إنما سمى الانسان لأنه عهد إليه فنسى وكذا رواه على بن أبى طلحة عنه ، وقال مجاهد والحسن : ترك ، وقوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلا ، وقد تقدم الكلام على هذه القصة فى سورة البقرة وفى الأعراف وفى الحجر والكهف وسيأتى فى آخر سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره الملائكة بالسجود له تشريفا وتكريما وبين عداوة إبليس لبنى آدم ولأبيهم قديما ولهذا قال تعالى (فسجدوا إلا إبليس أبى) أى امتنع واستكبر (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) يعنى حواء عليهما السلام (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أى إياك أن تسعى فى إخراجك منها فتتعب وتعنى وتشقى فى طلب رزقك فانك ههنا فى عيش رغيد هنىء بلا كلفة ولامشقة (إن لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى) إنما قرن بين الجوع والعرى لأن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر (وأنك لاتظمؤ فيها ولا تضحى) وهذان أيضا متقابلان فالظمأ حر الباطن وهو العطش والضحى حر الظاهر . وقوله (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى) قد تقدم أنه دلاهما بغرور (وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين) وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة فى الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها وكانت شجرة الخلد يعنى التى من أكل منها خلد ودام مكثه وقد جاء فى الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسى: حدثنا شعبة عن

أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام مايقطعها وهي شجرة الخلد » ورواه الإمام أحمد ، وقوله (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي ابن الحسين بن اشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استحياء أرأيت إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال نعم » فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضا وقوله (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قال مجاهد يرقعان كهيئة الثوب وكذا قال قتادة والسدي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قال ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوآتهما وقوله (وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني أو قدره الله علي قبل أن يخلقني ـ قال رسول الله ﷺ ـ فحج آدم موسى » وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك ، قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ـ قال رسول الله ﷺ ـ فحج آدم موسى » قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعا أي من الجنة كلكم ، وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة (بعضكم لبعض عدو) قال آدم وذريته ، وإبليس وذريته وقوله (فإما يأتينكم مني هدى) قال أبو العالية : الأنبياء والرسل والبيان (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه (فإن له معيشة ضنكا) أي ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فإن له معيشة ضنكا) قال الشقاء وقال العوفي عن ابن عباس (فإن له معيشة ضنكا) قال كلما أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال أيضا إن

قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسىء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك ، وقال الضحاك هو العمل السيء والرزق الخبيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان ابن عيينة عن أبى حازم عن أبى سلمة عن أبى سعيد فى قوله (معيشة ضنكا) قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه، قال أبو حاتم الرازى : النعمان بن أبى عياش يكنى أبا سلمة ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبدالله بن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ فى قول الله عز وجل (فان له معيشة ضنكا) قال ضمة القبر له والموقوف أصح . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجيرة واسمه عبد الرحمن عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال « المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويفسح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيم أنزلت هذه الآية (فان له معيشة ضنكا) أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس ينفخون فى جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون » رفعه منكر جداً وقال البزار حدثنا محمد ابن يحيى الأزدى حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبى هلال عن ابن حجيرة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قول الله عز وجل (فان له معيشة ضنكا) قال « المعيشة الضنك الذى قال الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة » وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ (فان له معيشة ضنكا) قال « عذاب القبر » إسناد جيد وقوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال مجاهد وأبو صالح والسدى لا حجة له وقال عكرمة عمى عليه كل شيء إلا جهنم ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم) الآية ولهذا يقول (رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً) أى فى الدنيا (قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) أى لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها كذلك اليوم نعاملك معاملة من ينساك (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) فان الجزاء من جنس العمل . فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا فى هذا الوعيد الخاص وإن كان متوعداً عليه من جهة أخرى فانه قد وردت السنة بالنهى الأكيد والوعيد الشديد فى ذلك ، قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عبادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « ما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقى الله يوم يلقاه وهو أجذم » ثم رواه الإمام أحمد من حديث يزيد بن أبى زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ فذكر مثله سواء

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾

يقول تعالى وهكذا نجازى المسرفين المكذبين بآيات الله فى الدنيا والآخرة (لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق) ولهذا قال (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أى أشد ألماً من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين « إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة »

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ * وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾

يقول تعالى (أفلم يهد) لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به يا محمد كم أهلكنا من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التى خلفوهم فيها يمشون فيها (إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) أى العقول الصحيحة والألباب المستقيمة كما قال تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وقال فى سورة الم السجدة (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم) الآية ثم قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) أى لولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والأجل المسمى الذى ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لنبيه مسليا له (فاصبر على ما يقولون) أى من تكذيبهم لك (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) يعنى صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى صلاة العصر كما جاء فى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ هذه الآية، وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رؤيبة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفى المسند والسنن عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه وإن أعلاهم منزلة لمن ينظر إلى الله تعالى فى اليوم مرتين» وقوله (ومن آناء الليل فسبح) أى من ساعاته فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء (وأطراف النهار) فى مقابلة آناء الليل (لعلك ترضى) كما قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وفى الصحيح «يقول الله تعالى يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول إنى أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا» وفى الحديث الآخر «يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم خيرا من النظر إليه، وهى الزيادة».

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك وقليل من عبادى الشكور، وقال مجاهد أزواجا منهم يعنى الأغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال فى الآية الأخرى (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك) الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الآخرة أمر عظيم لا يحد ولا يوصف كما قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ولهذا قال (ورزق ربك خير وأبقى) وفى الصحيح أن عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ فى تلك المشربة التى كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس فى البيت إلا صبرة من قرظ واهية معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك يا عمر؟» فقال يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال «أو فى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا» فكان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة عليها إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا فى عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئا لغد،

قال ابن أبى حاتم أنبأنا يونس أخبرنى ابن وهب أخبرنى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح الله لكم من زهرة الدنيا » قالوا وما زهرة الدنيا يارسول الله قال « بركات الأرض » وقال قتادة والسدى : زهرة الحياة الدنيا يعنى زينة الحياة الدنيا وقال قتادة (لنفتنهم فيه) لنبتليهم وقوله (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) أى استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده أنا ويرفأ وكان له ساعة من الليل يصلى فيها فربما لم يقم فنقول لايقوم الليلة كما كان يقوم وكان إذا استيقظ أقام يعنى أهله وقال (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقوله (لانسألك رزقا نحن نرزقك) يعنى إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لاتحتسب كما قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ـ إلى قوله ـ إن الله هو الرزاق ذوالقوة المتين) ولهذا قال لانسألك رزقا نحن نرزقك ، وقال الثورى لانسألك رزقا أى لانكلفك الطلب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ (ولا تمدن عينيك ـ إلى قوله ـ نحن نرزقك) ثم يقول : الصلاة، الصلاة رحمكم الله وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله ابن أبى زياد القطرانى حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهلاه صلوا، صلوا .قال ثابت وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة وقد روى الترمذى وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبى خالد الوالبى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى ياابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول « من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم فى أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديته هلك » ، وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » وقوله (والعاقبة للتقوى) أى وحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة وهى الجنة لمن اتقى الله ، وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت الليلة كأنا فى دار عقبة بن رافع وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك أن العاقبة لنا فى الدنيا والرفعة وأن ديننا قد طاب »

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار فى قولهم (لولا) أى هلا يأتينا محمد بآية من ربه أى بعلامة دالة على صدقه فى أنه رسول الله؟ قال الله تعالى (أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى) يعنى القرآن العظيم الذى أنزله عليه الله وهو أمى لايحسن الكتابة ولم يدارس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان منهم فى سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فان القرآن مهيمن عليها يصدق الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى فى سورة العنكبوت (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا

عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « مامن نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التى أعطيها عليه السلام وهو القرآن وإلافله من المعجزات مالا يحد ولايحصر كما هو مودع فى كتبه ومقرر فى مواضعه ثم قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أى لوأنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم وننزل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعنتون معاندون لايؤمنون (ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) كما قال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون — إلى قوله — بما كانوا يصدفون) وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) الآية وقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) الآيتين ، ثم قال تعالى (قل) أى يامحمد لمن كذبك وخالفك واستمر على كفره وعناده (كل متربص) أى مناومنكم (فتربصوا) أى فانتظروا (فستعلمون من أصحاب الصراط السوى) أى الطريق المستقيم (ومن اهتدى) إلى الحق وسبيل الرشاد ، وهذا كقوله تعالى (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) وقال (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) . آخر تفسير سورة طه ولله الحمد والمنة ويتلوه إن شاءالله تفسير سورة الأنبياء ولله الحمد

﴿ تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام وهى مكية ﴾

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبى إسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله قال ، بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول وهن من تلادى

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * قَٰلَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ * مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وأن الناس فى غفلة عنها أى لايعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائى حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسى حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى ﷺ (فى غفلة معرضون) قال « فى الدنيا » وقال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقال (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا) الآية ، وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الحسن بن هانئ أبى نواس الشاعر أنه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول :

الناس فى غفلاتهم * ورحا المنية تطحن

فقيل له من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون)وروى[1] فى ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الآمدى عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال إنى استقطعت

(١) هذا الخبر غير موجود فى النسخة المكية .